حول مخطوط

بقلم الدكتور

وجدتُ إذ انا أطالع ما علّق الشيخ عبد القادر المغربيّ في « مجلّة المجمع العلميّ العربيّ » (٧ : ٣١١) على الأخبار التي ساقها من « تحفة الأدب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب » المخطوط « للشيخ احمد بن صالح بن منصور المعروف بالأدهميّ الحنفيّ الطرابلسيّ المتوفّى سنة ١١٥٩ هـ. (١٧٤٦ م.) [1] ما يأتي :

« وهناك جرت مذاكرات ادبية نقتصر عن ذكرها مضطراً ومنها قول جميل :

بثينة تزدري بالغزالة في الضحى كأنّ أباها الظبي أو أمها المها

« قال المؤلف [وهذا البيت حكاية لطيفة أوردتها في شرحي على القصيدة المتريّة] ويعني بالقصيدة المتريّة قصيدة الشيخ المتري(٢ التي مطلعها :

سبحانَ من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامه

« واسم شرحه عليها [الكواكب السنية شرح القصيدة المتريّة] . قال المرادي انه شرح حسن مفيد يدل على فضل المؤلف » .

فهذا الكتاب (الكواكب السنيّة) منه نسخة في مكتبة باريس ، ومنه نسخة في مكتبتنا . قال الأب شيخو في مجلّة « المشرق » (٢٣ : ٩٩٤) : « وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المتريّة للأدهمي Ms de Paris. 3245. ff. » الى آخر قوله . وقد ذكر الفيكونت طرّازي ، في كتابه « خزائن الكتب العربية في الخافقين » هذه النسخة التي في يدنا . قال بعنوان « المكتبة النخليّة » (١ : ق١٧) : « وتتضمّن هذه الخزانة بعض مخطوطات نادرة نذكر منها كتاب [الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المتريّة] » الى آخره .

أمّا نسختنا فهي مجلّد متوسّط الحجم ، من الورق السخين المصقول ، يقع في

---

١) تجد ترجمته في « سلك الدرر » للمرادي (١ : ١٦٩ — من الطبعة الأولى) .

٢) ابو العباس احمد بن محمد بن احمد المقري التلمسانيّ (ما هنا ضبط [معجم البلدان] — ٢ : ٨٠٤ ، من الطبعة المصرية) صاحب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » . قال في « إعجام الأعلام » (ص ١٨٨) : « ونسبته الى قرية تسمى مقّر ببلاد المغرب نسب إليها آباؤه » .

٣٤٠ ورقة (فانّ الناسخ يعدّ فيه بالصحيفة ، لا بالصفحة) . وفي كل صفحة ٢٠ سطرًا وفي كل سطر ١٢ كلمة ، على الغالب . وطول كل ورقة ٢١ سنتيمترًا وعرضها ١٥ . وقد جاء في آخر الصفحة الثانية من الورقة ٣٤٠ : « وكان الفراغ من تسويده وتحريره ليلة نصف ربيع الآخر عام ١٢٥٠ من الهجرة النبويّة على صاحبها افضل الصلاة والسلام انتهى كلام الشارح والماتن على يد محرّره لنفسه الحاج احمد الرباط الحلبي وطنًا الشافعي مذهبًا عفي عنه آمين » . وهي منقولة عن مبيّضة المؤلف . قال الناسخ في الصفحة الاولى من الورقة ٣٤١ : « وقد وجدت هذه الرسالة المسماة بالكواكب السنيّة شرح القصيدة المقرّية مبيضة مسودة المؤلف عمدة الكرام الفخام » الى آخره . إلا ان الغلطات النسخيّة فيها ليست قليلة . اما الخط فجيّد . وفي طرف الورقة الثالثة من الورقات الخمس التي كتب فيها الناسخ طائفة من أطايب الشعر والنثر ، ثم القصيدة المقرّية ، ثم قصيدة « السيّد محمد سعيد ، من طالعه سعيد ، الملقّب بالمقيمة[1] مادحاً ولده[2] السيد احمد افندي الأدهمي الشارح للقصيدة المقرّية » : « نظر فيه وتأمل معانيه الحقير الفقير الى الله تعالى السيد صالح ابن السيد احمد بن المرحوم الشيخ محمد القادري [هنا كلمة غير مقروءة] الميداني الحرام في ١٩ جماد الثاني سنة ١٢٥٧ عفى الله عنه امين » . ثم يلي هذه الخامسة : « نظر فيه ثاني المذكور اعلاه السيد صالح في ٢٠ ذا القعدة سنة ١٢٥٧ » . ثم يلي هذه : « نظر فيه الفقير الى الله تعالى السيد عبد الغني جرنجي عمرن في ٢٠ ذو القعدة ١٢٥٧ » . ثم يلي هذه : « دخل في ملك فسيح الرحاب المستطاب افتخار البيكوات الكرام وعين الأعيان المعتبرين المبجّلين المقام عباس بيك نخله دام كيف رام هديتنا على سبيل المحبة والتبريك والاحتشام بعد زيارة مقام الشيخ الرباني الروحاني العارف الشيخ علي بن ميمون المغربي واصله احسان من الوزراء العظام في ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٨٨ على صاحبها اشرف التحية والسلام . كاتبه الداعي بالاحتشام محمود القادري الحصي خادم العلم الشريف بحروسة الشام زادها الله من البركات والانعام » . وعباس

١) الصواب : اللقيمي : على اللقيمة . راجع « سلك الدرر » (٤ : ١٥٤) .

٢) كذا في هذه الورقة من المخطوط ، وقد جاء في الصفحة الأولى من الورقة ٣٤١ : « ومؤلفه السيد احمد ادهمي السيد » . والذي في « سلك الدرر » (١ : ١٦٩) ان والد المؤلف هو صالح بن منصور ، كما مر بك . فانت ترى ان المسألة تقتضي تحقيقاً طويلاً ليس هنا محله .

بك هذا هو ابن عمّ جدّنا ، وهو الذي انتقلت النسخة من خزانة كتبه الى خزانتنا[1] . ويظهر من هذه الهامشة ان كاتبها حفيد لصاحب الهامشة الأولى ، وانه زار في سنة ١٢٨٨ هـ. (١٨٧١ م.) ضريح السيد علي بن ميمون في مجدل معوش[2] ، من قرى العرقوب الشماليّ في الشوف ، من بلاد الجبل ، ثم قصد البارود من قرى العرقوب الجنوبيّ ، ولقي فيها عباس بك ، وأهدى اليه الكتاب . وابن ميمون هو ، كما في « شذرات الذهب » (٨ : ٨١—٨٢ ، من طبعة مصر ١٣٥١ هـ.) : « العارف بالله سيدي علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسماعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن حسّون ابن سليمان بن يحيى بن نصر الشيخ المرشد المربّي القدوة الحجّة وليّ الله تعالى السيد الحسيب النسيب الشريف ابو الحسن بن ميمون الهاشميّ القرشيّ المغربيّ الفاريّ أصله من جبل غمارا بالعين المعجمة من معاملة فاس وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرّس ثم ولي القضاء ثم ترك ذلك ولازم التزو على السواحل

١) تجد جانباً من ترجمة حياته في « تاريخ المقاورا » للهاشم (ص ٤٤٣) وتجد شيئاً من أخباره في « قلائد المرجان في تاريخ شمالي لبنان » لكرم (٢ : ٢١٩—٢٢٠) وفي « محسن الخزان » لوالدي (٥—٦) .

٢) في « معجم البلدان » لياقوت (٧ : ٣٨٧ [مادة : مجدل [— من الطبعة المصرية) : « مجدل بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال واللام وهو القصر المشرف وجمعه مجادل » الى ان قال : « قيل مجدل بفتح الميم اسم موضع في بلاد العرب » .

وفي « تسريح الأبصار » للآب لامنس (٢ : ٢٤٢ — من الطبعة الثالثة) : « وبناء على هذا المبدإ كتب العامة [مجد البعنا — ضيعة في الجرد الشمالي — [وكان حقها ان تكتب مجدل بعنا . وهكذا قل عن [مجد المعوش [والصحيح مجدل معوش . وجرى الشعب على هذه الطريقة لأنه لم يكن يعرف ان مجدل هي لفظة كنعانية قديمة ومعناها قلعة فنقلها الى لفظ عربي متشابه » .

وفي مجلة « المشرق » (٣٧ : ٣٨٧) ان « مجدل » سريانية . وفي المجلد المذكور (ص ٤٠٨) — نقلاً من جدول الآب حبيقه : ان « مجدل » سريانية ، ومعناها برج .

وفي « دليل لبنان » للأسود (ص ٤١٦ — من الطبعة الثالثة) : « مجد المعوش سريانية » .

وقال الاستاذ المطوف في مجلة « النعمة » (١ : ٢٧٩ — في الحاشية) : « المجدل كلمة كنعانية بمعنى قلعة وأضيفت الى كثير من اسماء القرى مثل مجدل المقاورة ومجدل بعنا ومجدل المعوش في لبنان » . وقال في مجلة « الآثار » (٣ : ٤٢) : « مجدل قصر أو برج » . وقال في « معجم تحليل اسماء الأماكن » المخطوط ، الذي اطلعنا عليه في « الخزانة المطوفية » ، (مادة مجدل) : « مجدل معوش — مجدل : قصر ، ومعوش : صنم كان يمثل بالعجل للعبادة » .

والذي عندنا ان « مجدل » و « معوش » آراميتان ، وان المعنى : قلعة (آلي من معانيها القصر والبرج والحصن) المنابة . ففي معجم « دليل الزائرين في لغة الآراميين » للآب متا (ص ٩٢ [مادة جدل] ، من طبعة سنة ١٩٠٠) : « مجدل : قصر = برج = حصن » . وفيه (ص ٣٦ « [مادة عوش] [: « عوشر : أرض ندية = وطيبة . عدرة = حشيش . عنبان . عيدان

وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضاً وصحب مشايخ الصوفيّة . منهم الشيخ عرفه القيرواني فأرسله الى أبي العباس احمد التوزيّ الدباسيّ — ويُقال التباسيّ بالتاء — ومن عنده توجّه الى المشرق . قال الشيخ موسى الكتاوي فدخل بيروت في أوّل القرن العاشر » الى ان يقول (ص٨٣) : « وكان يقول : جراب الزّفوت السكوت ومن وحايا اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً وكان يقول: الشيطان له وحي وفيض فلا تغترّوا بما يجري على ألسنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشيدوه من قلوبكم. وكان ينهي أصحابه عن الدخول بين العوامّ وبين الحكّام ويقول ما رأيت لهم مثلاً إلا الفار والحيّات فان كلًّا منهما مفسد في الارض . وكان شديد الإنكار على علما. عصره ويسمّي القضاة القصاة . ومن كلامه لا ينفع الدّار إلا ما فيها . ومنه: لا تشتغل بعدّ أموال التجار وأنت مفلس . ومنه : اسلك ما سلكوا تدرك ما أدركوا ومنه : عجبت لمن وقع عليه نظر المفلح كيف لا يفلح . ومنه : كنزك تحت جدارك وأنت تطلبه من عند جارك . ومنه من المؤلّفات : شرح الجرومية على طريقة الصوفيّة وكتاب غربة الإسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الرّوم والأعجام ورسائل عدّة منها رسالة لطيفة سمّاها تنزيه الصديق عن وصف الزّنديق ترجم فيها الشيخ محيي الدّين ابن العربيّ ترجمة في غاية الحسن والتّعظيم . وذكر ابن طولون انه دخل دمشق في أواخر سنة اثنتي عشرة وتسعمائة ونزل مجاورة الكلّة بالصالحيّة وهرع الناس اليه للتبرّك به وممّن صمد اليه للأخذ عنه الشيخ عبدالنبي

عنة ندياً = غابة . أجمة كثيفة . كثافة . احتباك شجر » . هذا وفي مجدل معوش موضع يقال له ، الى اليوم : التلمة ، وعلى قرب منه شجرات من السنديان ، كبار قدائم ، منها درجة عبدانة عتيقة ، غابة في الضخامة ، وهي مشهورة في بلاد الجبل ، مما يدل على ان المكان ، في القديم ، كان شجيراً . وأضف ان الميم في السريانية يدخل للدلالة على المفعول فيه .

وقد اضطرب النقلة في تحقيق هذا الاسم . فهو في « أخبار الدول وآثار الأول » للقرماني (في الهامش من تاريخ [الكامل] لابن الأثير — من طبعة مصر — ٦ : ١١١) وفي نسخة منه (طبعة بغداد [على الحجر] : ص ٤٨٩) وفي نسخة منه مخطوطة ، اطلعنا عليها في « خزانة كرسي مطرانية بيروت المارونية » وقد كتبت في سنة ١٢٠٩هـ ، أي ١٧٩٤م ، (الفصل « [المعجم] ، حرف الميم) مجدل معوش ، بالعين للمعجمة . وجاء في نسخة من « أخبار الدول » مخطوطة ، كتبت في سنة ١١٢٠هـ. أي ١٧٠٨م . وقد اطلعنا عليها في « الخزانة المملوفية » (ص ٦١٣): مجدل معوس ، بعين وسين غير معجمتين . وجاء في « شذرات الذهب » لابن العماد (من طبعة مصر ، ١٣٥١هـ) في ثلاثة مواضع على تسعين . ففي « ٨ : ٨٤ » : مجدل معوش ، بعين غير معجمة ، وفي « ٨ : ٣٣٢ » و« ٨ : ٣٣٨ » مجدل مغيش ، بالمعجمة .

شيخ المالكيّة والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفيّة وتسلّكا على يديه هم وخلق من الفضلا. وقال سيدي محمد بن عراق[٥] في سفينته انه لم يشتهر في بلاد العرب بالعلم والمشيخة والإرشاد إلا بعد رجوعه من الرّوم الى حماة سنة احدى عشرة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشر رجب سنة ثلاث عشرة وثمانمائة قال وأقام في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يربّي ويرشد ويسلك ويدعو الى الله على بصيرة. قال واجتمع عليه الجمّ الغفير ثم دخل عليه قبض وهو بصالحية دمشق واستمرّ ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب وأخذ يستفيد عن الأماكن التي في بطون الأودية ورؤوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل معوش فهاجر اليها في ثاني عشر محرّم هذه السنة. قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان سنّه عشر سنين وشخصاً آخر عملاً بالسنّة وأقمت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً

٥) ابن عراق « اشتغل بالرياضة عند ابن ميمون » و « كان عالماً زاهداً صاحب تقوى ومجاور مدة عمره بعد وفاة شيخه ابن ميمون بمدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم مات ودفن بها قدس سره » — راجع « الشقائق النعمانية » (ص ٥٤٣). وراجع ترجمته المسهبة في « شذرات الذهب » (٨: ١٩٦-١٩٩).

وفي رسالة « عمدة الصفوة في حل القهوة » للأنصاري (مجلة الضياء [١: ٦٥٢] — وقد نشرها أيضاً في باريس [سنة ١٨٢٦] دي ساسي ، وذلك في مجموعه « أنيس المفيد للطالب المستفيد » [١: ١٣٨-١٦٩] وترجمها الى الفرنسية : وعلق عليها : « وبلغ الشيخ العارف بالله محمد بن عراق لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وثلاثين انه كان يفعل في بيوت القهوة اشياء من المنكرات فأشار على الحكام بابطالها مع تعريجه بحلها في حد ذاتها لغير واحد بحيث بلغ منه التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة طول اقامته فيها » — راجع في شأن اختلاف انشاء في القهوة مجلة « الآثار » (١: ٢٣٦-٢٣٧).

ولابن عراق ثلاثة أولاد أخذوا عنه (شذرات الذهب ٨: ١٩٩) منهم شرف الدين القاضي. قال في « شذرات الذهب » (٨: ٣٣٢) : « ولد بمجدل معوش سنة عشرين وثمانمائة وكان فاضلاً لبيباً أديباً حسن المحاضرة » الى آخره. ومنهم سعد الدين، قال في « شذرات الذهب » (٨: ٣٣٧) : « ولد كما ذكره والده في السفينة العراقية سنة سبع وثمانمائة بساحل بيروت » الى أن يقول: « وأخذ القراآت عن تلميذ ابيه الشيخ احمد بن عبد الوهاب خطيب قرية مجدل معوش وعن غيره » الى ان يقول : « وله اشتغال في الفرائض والحساب والميقات وقوة في نظم الأشعار » الى أن يقول (ص ٣٣٨) : « أشهر شرب القهوة فكثرت من بيوتة سوانيها ».

وذكر الأمير شكيب ارسلان في « الاوتسامات اللطاف » (ص ١٣١) ان الشيخ نور الدين علي ابن محمد بن عراق مؤلفاً اسمه « نشر اللطائف في قطر الطائف » ، وهو هنته ، أرسل به اليه ، معنوناً بالقونصولاتية ، احمد باشا تيمور . قال الاستاذ الزركلي في « الأعلام » في ترجمة الشيخ نور الدين (ص ٦٩٦ — مادة علي) : ينقل من « در الحبب » المخطوط : « ونشر اللطائف في قطر الطائف رسالة صغيرة في تأريخ الطائف ».

وتوفّي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في أرض مرات بشاهق جبل حسبما أوصى به قال ودفن خارج حضرته المشرّفة رجلان وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبنتان. الرّجلان محمد المكناسي وعمر الأندلسي والصبيان ولدي عبدالله وكان عمره ثلاث سنين وموسى بن عبدالله التركماني والامرأتان امّ ابراهيم وبنتها عائشة زوجة الذعري والامرأتان الأخريتان مريم القدسيّة وفاطمة الحموية وسألته عند وفاته ان أجعل دار هجرتي فقال مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى : «الذين تتوفّاهم الملائكة — الآية» . وفي «الشقائق النعمانيّة» (في هامش وفيات الأعيان — طبعة بولاق ، ١٢٩٩ هـ.) لطاش كبري زاده ، في ترجمة ابن ميمون (ص٥٠٤) : « وكان لا يخالف السنّة حتى نقل عنه انه قال لو أتاني بايزيد ابن عثمان لا اعامله إلا بالسنّة. وكان لا يقوم للوارثين ولا يقومون له . واذا جاء اهل العلم يفرش جلد شاة تعظيماً له» الى ان يقول (ص٥٠٤) : « وكان لا يقبل الوظيفة ولا هدايا الامراء والسلاطين » . وفي « الأعلام» للزركليّ ، في ترجمة ابن ميمون (ص٣٠٧ — مادّة عل) ينقل من « الكواكب السائرة » و « السّنا الباهر » المخطوطين : « وله مؤلّفات منها [غربة الإسلام في مصر والشام وما والاهما من بلاد الرّوم والأعجام] و [تنزيه الصديق عن صفات الزنديق] دفاعاً عن ابن عربي ، وبضع عشرة رسالة ، ونظم» . وذكر الاستاذ الزيّات في « خزائن الكتب في دمشق وضواحيها» ، في كلامه على ما لم يُنشر بالطبع من مخطوطات « الخزانة الظاهريّة» ، في دمشق ، هذا كتاب «غربة الإسلام» ، مع اختلاف في الإسم ، وقد أورده في مخطوطات فنّ التصوّف ، قال(ص٦٠) : «بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقهة والمتفقرة من أهل مصر والشام وما يليها من بلاد الأعجام لأبي الحسن علي بن ميمون الأندلسي » . وفي حاشية على الصفحة ٥٦ من كتاب « خزائن الكتب » المذكور مثال من كتابة ابن ميمون ، ساقه المؤلف من كتاب «غربة الإسلام» للاستشهاد على انّ عادة اختلاط النساء بالرّجال ، مع عدم تنقّبهنّ منهم ، قد بقيت الى ما بعد القرن العاشر للهجرة . قال ابن ميمون ، هناك ، ينقل عن الوعّاظ والخطباء في دمشق وغيرها : « انهم يجمعون بين النساء والرّجال بغير حجاب في المساجد والمجامع . والنساء متزفلات في زينتهنّ حلياً وحللاً متبخترات

متطرات مفتنات مائلات مميلات على رؤوسهن كأسنمة البخت المجاف » .

وقد شهرت قرية مجدل معوش في كتب العلماء بتزوج ابن ميمون اليها ، وبموته ودفنه فيها . ومن ذلك ما ذكر القرماني[1] في معجم « أخبار الدول وآثار الأول » قال (ص٢٨٩ — من طبعة بغداد ، ١٨٦٥) : « مجدل معوش [كذا بالنجمة] — قرية من أعمال بقاع العزيز من الشام مدفون بها السيد علي بن ميمون المغربي قدس الله سره توفي سنة سبع وعشرين وتسعمائة » . وقد كان أهل مجدل معوش ، في أيام ابن ميمون مسلمين ، كلهم ، ولم يطأ بساط الإسلام فيها إلا في نحو سنة ١٦٠٩ ، وذلك في خبر ورد في « مختصر تاريخ الطائفة المارونية » المخطوط[2] للدويهي (في المكتبة الشرقية — قسم المخطوطات : ٣٦) ونحن نورده ، هنا ، بلفظه . قال الدويهي : « سنة ألف وستماية وتسع وقعت فتنة بين مسلمي قرية مجدل معوش فكثرت القتلة بينهم فاتفقوا على بيع القرية

---

١) هو — كما في « معجم المطبوعات العربية والمعربة » (ج : ٥ ، ١٥٠٥) — « ابو العباس احمد جلبي بن يوسف بن احمد الشهير بأحمد بن سنان القرماني الدمشقي » . انظر ترجمته في « خلاصة الأثر » (١ : ٢٠٩—٢١٠ ؛ من طبعة الوهبية) وانظر ترجمة سنان القرماني في « شذرات الذهب » (٨ : ٣٤٧). قال الأب شيخو في « تقويم المخطوطات التاريخية في المكتبة الشرقية » الفرنسوي اللسان (٥ ، ١٩٢٥—١٩٢٩) ما معربه : ان عائلة القرماني أصلها من قرامان Caramanie . وأورد ياقوت في « معجم البلدان » (٧ : ٦٢ — من الطبعة المصرية) قرمان ، بالفتح ، ثم السكون ، عن ابن دريد في « الجمهرة » ، ولم يزد على هذا الضبط . وفي نسخة « آثار الدول » الحجرية (ص ٤٧١) : « قرمان ». وفي نسخة « خزانة كرسي مطرانية بيروت المارونية » (الباب ٤٥) : « قرامان » ، أي بألف ، ثم يقول : « دولة آل قرامان » حيث جاء في النسخة الحجرية (ص ٣٩٢) : « دولة آل قرمان » ، بغير ألف . وفي نسخة « الخزانة المملوكية » (ص ٥٩٣) : « قرمان » وقد رقم بخط قديم في أول هذه النسخة : « تاريخ قره مانى » ، وهو ضبط عجيب . ووردت لفظة قرمان بلا ألف في نسخة « اخبار الدول » في « المكتبة الشرقية » (هذه النسخة مخرومة الأول والآخر ، فلا يعرف زمن نسخها) : وفي النسخة المطبوعة في هامش الجزء ٦ من تأريخ « الكامل » لابن الأثير (من الطبعة الأولى) : وذلك في جميع المواضع المذكورة في هذه الحاشية . أما « أخبار الدول » فقد « لخصه القرماني من تأريخ الجنابي ، وزاد فيه أشياء مع إخلال في كثير من الدول » — راجع « كشف الظنون » و « راشد سوريا » لبولاد (١ : ٧٠) .

٢) في اول هذا المخطوط : « هذبه ونقحه واختصره الشيخ طنوس الشدياق سنة ١٨٤٠ » — أي صاحب « أخبار الأعيان » . وقد ذكر زيدان هذا المخطوط في « آداب اللغة العربية » (٤ : ٢٨٥— من الطبعة الأولى) وذكره الزركلي في « الأعلام » (٢ : ٤٥٢ — مادة طنس) ، واسمه في المؤلفين : « مختصر تاريخ البطريرك اسطفان الدويهي الاهدني » .

والخروج منها فاشتراها منهم الامير علي[1] ابن الامير فخر الدين المعني باثني عشر الف قرش وسلّمها للنصارى » . وهذا الخبر ورد ايضاً ، مع اختلاف يسير في اللفظ ، في « تأريخ الطائفة المارونية» للدويهيّ (ص ١٨٩ — من طبعة بيروت، سنة ١٨٩٠) ولكنّه يقول في المتن : « دفعتها النصارى » بدلاً من « وسلّمها للنصارى » التي في المخطوط، ثم يعلّق في الحاشية :«ويروى : وسلّمها للنصارى». وورد ذلك الخبر ، ايضاً ، في الصفحة ٢ من الصحيفة١٢٣ من «تأريخ الأزمنة» المخطوط ، للدويهيّ (في مكتبة الفاتيكان — عدد : ٢١٥ من المجموعة السريانية[2]) . قال الدويهيّ ما ننقل بحرفه : « وصدف ان في ذلك الزمان اقتتلوا المسلمين سكان قرية مجد لمعوش في بعضهم وكثرت بينهم القتلى حتى انهم اتفقوا على بيع القرية والخروج منها فاشتراها منهم — يريد الامير فخر الدين — ودفعها للنصارى . فنزل فيها — يريد البطريرك يوحنا مخلوف الاهدنيّ[3] الماروني — وعمر

---

١) راجع طائفة من أخباره في « تأريخ الامير فخر الدين المعني » للخالدي و «خلاصة الأثر » للمحبي و « الدرر الحسان » للأمير حيدر و « أخبار الأحيان » للشدياق و « تأريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » للمعلوف ، و « فخر الدين الثاني » لقرألي ، ، ومجلة « المشرق » (المجلد ٣٠ ومجلة « الآثار » (المجلد ١ و٢ و٣) و « المجلة البطريركية » (المجلد ١١) من المراجع العربية ، وفي « الأرض المقدسة » لرويحه و « تأريخ السلطنة العثمانية » لدي هامر و « تاريخ فخر الدين » لماريتي ورحلة ساندس من المراجع الاجنبية . وقال الاستاذ المعلوف في كتابه المذكور (ص ٣٢٤): « وذكر كثير من المؤرخين أخباره — يريد الأمير علياً — ومنهم مصطفى فهيما الحلبي في تأريخه التركي » الى آخر قوله .

٢) راجع « فخر الدين المعني الثاني » لقرألي (٢ : ٣٧) .

٣) في « سلسلة بطاركة الطائفة المارونية» (ص ٣٧ — من الطبعة الثانية) و « تأريخ الطائفة المارونية » للدويهي (١٨٥ و١٨٧ و١٨٨ و٢٠٦) وفي « الدر المنظوم » لسمعد (١٥٩) وفي نسخة من « مختصر تأريخ لبنان » المخطوط ، لشماس انطونيوس ابي خطار البعلبكي — وهي من كتب خزانتنا ، وقد نسخت في سنة ١٨٥٥ — (٧٣ و٩٨) وفي « تأريخ سورية » (٧ : ٢٩٦) و « التاريخ المرسل » للدبس (٣٥٠) وفي ترجمة الدويهي » لشبلي (١٦٧ الحاشية ٢ — ينقل من المكتبة الشرقية للسمعاني (١ : ٥٥٢) وفي « دواني القطوف» للمعلوف (١٩٠) وفي « تأريخ اهدن » لخازن.(٣٥٩) وفي سائر المراجع اللبنانية ان هذا البطريرك اهدني المنبت . الا « تأريخ الماقورا » للهاشم ، فقد جاء فيه (ص ٢٠٧) ان مخلوفاً من الماقورا . وهناك اختلاف في تعيين سنة وفاته ، والصواب ما في مجلة « المشرق » (٢٢ : ٨٩٥) و « فخر الدين المعني الثاني » لقرألي (٣٤٩ ، الحاشية الأولى) وهو أن مخلوفاً توفي في ١٥ من كانون الأول ١٦٣٤ ، لا كما ذكر الدويهي في « تأريخ الطائفة المارونية» (٢٠٦) وتابعه عليه الفريق الآخر من المؤرخين اللبنانيين .

جاء فيها : « فترغب اليك ان ترعى صداقته » . وقد نشر قرألي نصّ تلك الرسالة في كتابه « فخر الدين المعني الثاني ودولة تسكانا» (٢ : ١٥٥—١٥٩). وهذا صريح ، يقطع الجدل في كون الامير فخر الدين هو الذي قام بالشراء لا ابنه عليّ . ولقد كتبتُ في سنة ١٩٦٢ الى الاستاذ المعلوف ، وهو ما هو في السِّير والأنساب والوقائع اللبنانية ، اسأله عمّا عنده على أخبار ابن ميمون في مجدل معوش ، وعلى ايام المسلمين فيها ، وخروجهم منها ، وعلى نزول النصارى هناك ، وما الى ذلك ، فأجابني بكتاب مؤرّخ في ٤ من ايلول من السنة المذكورة ، جاء فيه :

« كان المسلمون ينزحون من مجدل معوش رويداً رويداً بعد ابتياعها وتخصيصها لبطريرك يوحنا مخلوف ويدخل عوضهم النصارى فكان المسلمون يقيمون والنصارى يقدمون حتى ايام رسائي الكاهنين انشائي وسلوان فتقصر المسلمين الباقين في جوارها كما في رسالة سلوان الى المطران يوحنا حبيب مؤسس الرسالة اللبنانية في جبيل الآن : فصدهم انشائي واقام عراباً لهم سلوان . واسم المعلمين اذ ذاك مرعي حسن وأخوه اسعد . وابراهيم اسعد واخوه تبلان . ولم يبق من سلالة هؤلاء غير وحيدة ابنة ابراهيم اسعد فتزوجت في رشيا . ومن اقارب هؤلاء المتقصرين المسلمين بيت ابي سمرا في بيروت . وذلك ما علمته بمذكراتي سنة ١٩٢٠ » الى أن يقول : « وقفت في مخطوطة عندي عنوانها [قواعد الآداب في حفظ الأنساب] وهي نادرة في أسر بني فوارس كالأمراء الأرسلانيين والمعنيين وغيرهم ممن سكنوا لبنان جاء فيها ما يتعلق ببحثكم ما أنقله بالحرف وهو في ذكر فروع بني فوارس [وبنو حسن سكنوا خربة روحا وكفرتيس ومجدل المعوش وهم من كفرحيط او كفرحيت عند الشرقب... كذلك أهل اجبه وشميم ومزبود وعانوت والناعمة وبطلون ويحمدون من مجدل المعوش منبة] » .

إما قبر ابن ميمون ، وهو الأثر الإسلاميّ الوحيد ، الذي سلم في مجدل معوش من العفاء ، على اختلاف الأيام(*) ، فانه على ربوة مرتفعة ، الى الشمال من القرية ، لا على رؤوس جبال وشمقات ذرى ، كما يُستفاد ممّا نقل ابن عماد

---

*) ظن بعضهم ان « مغارة مار إدنا » في مجدل معوش — وهو كهف في صخر مرتفع ، يستغيثون بصاحبه في شفاء الأدواء — من آثار الاسلام في القرية . والصواب ان مار إدنا ، الذي يكثر ايضاً : في النصوح ، وفي شبطين وحمشيت ، وفي الزاوية من لبنان ، هو في عداد القديسين عند النصارى ، واسمه طراقوس Tarachus ، ضابط روماني ولد سنة ٢٤٠ للميلاد ، ومات على الشهادة في المصيصة ، على شاطئ جيحان ، عند طرسوس ، لا المصيصة التي على باب دمشق ، قرب بيت لهيا — والمصيصة ، على ما في « معجم البلدان » (٨ : ٨٠ ؛ من طبعة مصر) : « بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى كذا ضبطه الأزهري وغيره من اللغويين بتشديد الصاد الأولى هذا لفظه وتفرد الجوهري وخالد الفاراني بأن قالا : المصيصة بتخفيف الصادين والأول أصح » — راجع في ما يتعلق بمار إدنا مجلة « المشرق » (١٣ : ٨٢) و « مروج الأخبار » في وفيات اليوم ١١ من تشرين الاول ، و « شموع أعمال القديسين » (٣د : ٥٦٠—٥٧٤) ، و « مكتبة القديسين اللاتينية» للآباء البولنديين (Bibl. Hagiog. latinae, BHL. ١١٥١)

في « شذرات الذهب » من كلام ابن عراق في « السنينة العراقية » . ولقد اصح في وسط كرم ، لا في « أرض مرات » كما كان المعبد بهذه الناحية من القرية في زمان ابن عراق . وهو اليوم ركام حجارة ، وكان من بضعة اعوام مبنيًا عليه قبّة ، لاحظ بناءها بأمر من قائم مقام قضاء الشوف ، يومئذٍ ، سعيد بك نخله جدّ هذا الكاتب ، وذلك في سنة ١٨٩٩ ، ايام كان المرحوم جدّنا مديرًا للمرقوب الشمالي ، أي ناحية مجدل معوش. وكان على موضع التضريح صخرة تدلّ اليه . ولا شاهد هناك ، ولا كتابة . ثم انهدمت القبّة على توالي الأيام ، وفقدان العناية بالقبر . وكان من عوام النصارى من يتبرّك بها ، وكان منهم من يضع السرج عليها للاستغاثة والتوسّل . رأيتُ وهذا في سنة ١٩١٨ و ١٩١٩ مرارًا ، إذ كنتُ ، حينذاك ، مديرًا للمرقوب الشمالي . ولقد توسّع الأمير شكيب ارسلان في كتابه « ملحق للجزء الاوّل من تاريخ ابن خلدون » في ذكر تجديد القبر ، قال (١٧٠—١٧١) :

« قرية مجدل معوش هي في قضاء الشوف من بلادنا في جبل لبنان وكان اهلها مسلمين من أهل السنة ، ووقعت بينهم عداوة شديدة فخرجوا منها واخذها النصارى وذلك منذ مائتي سنة . ولما دخلها السيد علي بن ميمون المغربي كانت لا تزال قرية إسلامية ، وبقي قبر السيد من ذلك الوقت معروفاً لا يجهله أهل القرية . وجاءنا مرة الخبر بأن بعض النصارى أرادوا استعمال ذلك القبر لدفن وكان في ذلك الوقت عند الأمير مصطفى أرسلان فاتصل قضاء الشوف فأخبرته بالخبر فأمر مدير ناحية المرقوب الشمالي منه تلك القرية بأن يحقق هذا الأمر ويمنع تعرض احد للقبر . ثم جمعنا إعانة مالية وادى كل منا ما قدر عليه ، فبلغ المجموع مائة مجيدي وجددنا القبر المذكور لأنه كان قد خرب تقريباً ، فخشينا بسبب خرابه ان يستعمله النصارى لدفن موتاهم .

« وبلغ المرحوم الأمير علي بن الأمير عبدالقادر الجزائري شروعنا ببناء هذا القبر فأراد ان يكون له حصة في المثوبة ، فأرسل ايضاً شيئاً من المال وهكذا جددنا قبر الولي المشار اليه تغمد الله سره بعد نحو من أربعمائة سنة من وفاته وكان هذا العاجز السبب في ذلك وأخر أن هذه القضية مضى عليها سبع وثلاثون سنة ، وقد أطلت في ترجمة السيد علي بن ميمون لكونه من أكبر أهل المغرب الذي طلعت على المشرق ولكوني قمت له بخدمة قبره بعد دفنه بأربعة قرون ، والله على ذلك شهيد » .

٢

أمّا سبيل المؤلّف في «الكواكب السنيّة» فهو انه يسوق البيت من المقرّية ، ثم يعلّق عليه تعليقاً لغويًا مستفيضاً ، ثم يستطرد بحسب مقامات المعنى الى آية ، او حديث ، او كلمة بارعة ، او ترجمة حال ، أو نكتة تاريخية ، أو نادرة أدبيّة ، او سيرة من غرائب السير الى آخر ما يبدو له هناك ، ممّا يدلّ على التضلّع من

الأدب ، والمشاركة في فنون شتّى ، ويزيد قول صاحب « شذرات الذهب » في الكتاب « انه شرح حسن مفيد يدلّ على فضل المؤلف » وقد فُتن الناسخ بتلك الفنون والأساليب التي عبرت بين يديه ، فخصّ الكتاب وصاحبه في الصفحة الأولى من الورقة ٣٤١ ، وهي الأخيرة من أوراق الكتاب ، بمدح مرقش جاء فيه « لأني طالعت كتباً كثيرة ، وتواريخ جليلة غزيرة ، فلم أجد مثل هذا التأليف الرائق الشراب البديع الترصيف » الى أن يقول « فأبرز هذه النجوم الزواهر مدّده ولفظها بفمه وسوّدها بقلمه رحمه الله رحمة واسعة » .

وهو كلام فيه غلوّ كثير ، لكن يستدلّ منه كرّة ثانية على ان الناسخ نقل عن مبيّضة المؤلف نفسها ، وذلك لما يُفهم من قوله « وسوّدها بقلمه » .

وفي الكتاب معلومات نفائس ضنّ لم نجدها في ما بين يدينا من المظانّ الكثيرة . ومنها ما جاء عن ايام الأبدال في الجبل اللبناني . قال المؤلف في الصفحة الأولى من الصحيفة ٢٩٣ : « وفي حديث احمد الأبدال اربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يُسقى به الغيث في المحل ويُنصر بهم على الأعداء ويُصرف عن أهل الشام بهم البلاء والعذاب . ومسكن الأبدال جبل لبنان وهو متّصل بحمص ودمشق قال الشاعر :

وجلور رحاب الشام لبنان انها معادن أبدال الى منتهى الدهر »

وفي البيت ، كما يرى القارئ ، نفحة تدلّ على ان صاحبه من شعراء المتصوّفة .

واذا أصغت الى الذي ذكره الأدهميّ هنا عن جبل لبنان قول البشّاريّ المقدسيّ في « أحسن التقاسيم » (ص ١٨٨) : « وأمّا جبل لبنان فهو متّصل بهذا الجبل مشرف على صيداء وطرابلس كثير الأشجار والثمار المباحة وفيه عيون ضعيفة يتعبّد عندها أقوام بنوا لأنفسهم بيوتاً من القشّ وأخصاصاً من القصب يأكلون من تلك المباحات » ، وقول ابن الفقيه في « مختصر البلدان » (١١٢ — ١١٧) حيث يصف لبنان بكثرة المتعبّدين والزهّاد ، وقول ابن جبير في رحلته (ص ٢٨٢) : « هذا الجبل — يريد لبنان — من أخصب جبال الدنيا فيه أنواع الفواكه وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة وقلّ ما يخلو من النسّاك والزّهادة » الى أن يقول « ومن العجب انّ النصارى المجاورين لجبل لبنان اذا رأوا به احد المنقطعين من المسلمين جلبوا لهم القوت وأحسنوا اليهم . ويقولون هؤلاء ممّن انقطع

الى الله عزّ وجلّ فتجب مشاركتهم» نقول : اذا أضفت هذه الأقوال الى ما ساقه الادهميّ عن لبنان ، في استطراده المقدّم ، ظهر لك المعنى من كلام ياقوت الحمويّ في «معجم البلدان» يتعلّق بالجبل اللبنانيّ ، وهو الكلام الذي لم يتعرّض واحد من اصحاب كتب البلدان الى تفسيره على وجه صريح . قال ياقوت (ص ٣٢٠ — من طبعة مصر) : قال رجل لآخر لي اليك حُوَيْجَةٌ فقال لا أقضيها حتى تكون لبنانيّةً أي مثل لبنان» . أفيكون معنى « لبنانيّةً » هذه إلا عظيمة في الكرم ، أو في الطيبة ، أو في الرفعة ، الى آخر ما يجيء في هذه الشعبة من مرادف معنى المحمود ، المتناهي في الناس ، لا انها عظيمة من حيث الكبر الذي هو خلاف الصغر ، وهو ما يوهمه تصغير الحاجة في الحكاية ، وتفسير « القاموس » « للبنانيّة » في مادّة « ل ب ن » وذلك بقوله : « عظيمة » دون ان يزيد . هذا وأضف انّ ياقوت نفسه يقول في الموضع المذكور من « معجم البلدان » : « وفيه — يريد في جبل لبنان — يكون الأبدال من الصالحين » .

ومن استطرادات الأدهميّ في « الكواكب السيّة » ، مما له صلة بكتابه الآخر « تحفة الأديب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب » ، ما جاء في الصفحة ٢ من الصحيفة ١٦٢ وفي الصفحة ١ و٢ من الصحيفة ١٦٣ قال : « وقد كنت وأنا بالشباب طلب مني مباراته — يريد مباراة الحريريّ في المقامات — بعض الادباء فاحجمت عن الإقدام لكوني لا أصلح أن أكون له بارياً أقلام فالحاً في الطلب ولم ترده مدافعتي إلا الشغب » وهنا يمضي في محاكاة اسلوب المقامات محاكاةً بارعة الى ان يقول « وما شيء على حرفين وهو معرب بلامين . وما شيء يعمل مقلوباً وهو مستقيم عند كل نحويّ فهيم . وما شيء يستوي فيه خطاب الأنثى والذكر ، ولا يختلف حاله إلا في بعض الصور . وما شيء لا يقبل غير حرفين ولا يدخل عليه غير هذين . وهل تثبت آثر لا يذكر له مؤثر عند النحاة من غير منكر » الى أن يقول : « ومن أراد تفسير احاجيها وما اشتملت عليه من أبكار معانيها فليراجع رحلتنا الشاميّة » .

وهو في كل موضع يجيء فيه على ذكر « تحفة الأديب » يقول : « رحلتنا الشاميّة » .

ومن الاتفاق العجيب انه يحيل على « تحفة الأدب » ، في هـذه المسائل النحويّة ، في الصفحة التي ساق فيها قصة بيت جميل في بثينة ، وهي التي أحال فيها ، في « تحفة الأدب » على « الكواكب السنيّة » !

٣

وهذه قصّة بيت جميل ، وهي في الصفحة ٢ من الصحيفة ١٦٣ والصفحة الأولى من الصحيفة ١٦٣ من المخطوط :

قال : « ومن ذلك قوله — يريد جميلًا — من قصيدة :

بثينة تزري بالغزالة بالضحى كأنّ أباها الظبي او أمها المها

« حكي انّ هشاماً تأمّل في الوفود فلاحت لـه امرأة عليها سمات الجمال إلا انها كبيرة السنّ وقد ذهب اكثر محاسنها فاستدعاها وقال من انت فقالت بثينة فقال انت التي يقول فيك جميل بثينة تزري الخ . فقالت له نعم وقد قال أبلغ من ذلك فقال لها فاذا رأى بك من المحاسن حتى مـام بك في الاودية والجبال فقالت له مثل ما رأى فيك الناس اذ ولّوك الخلافة وفيهم من هو أمثل منك فأمر بقضاء حاجتها وزاد في اكرامها لسرعة جوابها وفصاحتها » .

ورواية البيت (بثينة تزري) في مقالة الشيخ المغربيّ (في ظنّنا انه نقل بالحرف من التحفة) تختلف عن روايته في « الكواكب » . ففي المقالة : « بالغزالة في الضحى » وفي « الكواكب » : « بالغزالة والضحى » كما رأيت . والذي عندنا في ذلك انّ الصواب ما في « الكواكب » ، فقد جاء في « الصحاح » ، في مادة « ض ح ا » : « ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثمّ بعده الضحا وهي حين تشرق الشمس مقصورة » ، وجاء في « الأساس » ، في مادة « غ ز ل » : « طلعت الغزالة وهي الشمس ولا يقال غابت وهي اسمها الى مدّ النهار وانتفاحه » . وانّ القارئ ليدرك بأدنى نظر انّ في « بالغزالة والضحى » زيادة معنى ، ليست في الرواية الأخرى ، وانّ في « بالغزالة في الضحى » إسهاباً ، أي إطالة في شرح المادّة .

هذا وعسى أن نمثل « الكواكب » بالطبع ، بعد أن نضبطه ونحرّره وننظر في وجوه التماثل ، أو التخالف ، بين النسخة التي في يدنا ، وما تظفر به من النسخ المبدّدة بين شرق وغرب . فانه لا يجوز في ذمّة الأدب إلا ان نخرج من الخمول هذا الكتاب البارع !